# الباب الثالث

# يأجوج ومأجوج وسد قورش

obeikan.com

obeikan.com

لقد بحثنا بشيء من التفصيل فيما تقدم شخصية ذى القرنين وانتهينا إلى أن الملك قورش الوارد ذكره فى التوراة فى أكثر من سفر هو ذاته الوارد ذكره فى القرآن الكريم بخصائله وصفاته وفضائله الحميدة وإنجازاته التاريخية الفذة النابعة من إيمان لا يتزعزع بالوحدانية الأحدية. ورأينا كيف أجمل العلى القدير فى القرآن المجيد تفاصيل كل ما تقدم فى حياة قورش فى كلمات معجزة وجيزة لتكون عظة وعبرة وإلهاما لكل الأجيال التالية وحتى قيام الساعة.

ومن الطبيعى المنطقى أن يبقى لنا النظر فى مسألتين ترتبطان ارتباطا وثيقا بتاريخ ذى القرنين الوارد ذكرهما أيضا بكلمات معجزة وجيزة فى القرآن الكريم وهما:

**أولا- مسألة يأجوج ومأجوج وإفسادهم في الأرض**

**ثانيا - مسألة سد قورش الذي حال دون إفساد يأجوج ومأجوج وطغيانهم واستبدادهم وتخريبهم في أراضي الإمبراطورية الفارسية وعدوانهم المستمر عليها.**

وعلينا أن نتذكر فى معالجة هذا البحث أنه جاء فى القرآن المجيد (سورة الكهف) جاء ذكر أمرين عن السد بخصوصية، وهما أنه - أى السد - بنى فى مكان ارتفعت الجبال كجدارين على جانبيه، أى كان المكان مضيقا جبليا، وأن السد الذى أقيم به، أستخدمت فيه زبر الحديد، وأُفرغ عليها النحاس المذاب، وعلى ذلك يجب أن نجد السد فى مضيق جبلى، ويجب أن يكون جدارا حديديا، لا جدارا من الحجر والآجر، ويكون قد سد طريق المضيق الجبلى.

ولقد نبهنا إلى هذه الأوصاف التى أجملت فى الإعجاز القرآنى إلى كلمات موجزة، لأن بعض مفسرينا لم ينتبهوا لها أو يعوها بشيء من التأمل والتركيز فغضوا النظر عنها، فهم إذا سمعوا بجدار بنى بشيء من الدقة والمهارة الهندسية، فى ذات المنطقة سبق إلى أذهانهم أنه هو السد الذى بناه ذو القرنين حتى أن بعض الباحثين العصريين

وعلى رأسهم المرحوم السيد/ السيد أحمد ذهبوا إلى أن جدار الصين، هو سد ذى القرنين، فى حين أن هذا الجدار لا يمكن أن يكون ذلك بحال من الأحوال، لأنه لم يبن فى مضيق جبلى، ولا استخدمت فيه قطع الحديد أو النحاس المذاب بل هو جدار من الحجر يمتد إلى مئات الأميال.

ولكى نصل إلى نتائج حاسمة فلنبحث أولا عن يأجوج ومأجوج، فإذا وجدناهم، سهل علينا الوصول إلى السد. خاصة أنه جاء ذكر يأجوج ومأجوج فى القرآن الكريم فى سورتين فقد قال جل وعلا فى سورة الأنبياء:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الأنبياء: ٩٦].

كما وردت فى سورة الكهف التى قصت قصة ذى القرنين وبناء السد فقد قال عز وجل:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ ﴾ [الكهف: ٩٣-٩٤].

# الفصل الأول

# يأجـــوج ومأجـــوج

obeikan.com

يرد للأسف على ألسنة الكثير من الناس - ومنهم بعض نخب المثقفين - خرافات كثيرة تتعلق بتسمية يأجوج ومأجوج التى وردت فى القرآن الكريم والحديث الشريف وذلك نتيجة افتقاد التأمل والتروى فى بحث ودراسة ما ورد بشأنهما من آيات فى القرآن الكريم أو الأحاديث النبوية الشريفة. ولكن الباحث فى المصادر اللغوية وكتب التفسير يجد بيانا آخر يتعلق بهاتين التسميتين، حيث جاء ف يالمعنى اللغوى لهاتين الكلمتين ما يلى:

١- في ((لسان العرب)):

أجج: الأجيج تلهب النار.. والأجة والأجيج: صوت النار.. وأجّت النار تئج وتؤج أجيجا: إذا سمعت صوت فيها. وكذلك ائتجت وتأججت وقد أججها تأجيجا.

وأجج بينهم شرا: أوقده. وقولهم القوم فى أجة أى فى اختلاط.

وقال أبو عمر: أجَّ: إذا حمل على العدو.. وأجَّ يئج أجيجا: صوَّت. وأجَّ يؤجَ أجًّا: أسرع. قال الشاعر :«سد بيديه ثم أجَّ بسيره».

٢- وجاء في ((التهذيب)):

أجَّ فى سيره يؤج أجًّا: إذا أسرع وهرول.. والأجيج والائتجاج: شدة الحر.. وماء أُجاج أى مالح.. قال الله عز وجل ﴿وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ وهو الشديد الملوحة والمرارة. ويأجوج ومأجوج: قبيلتان من خلق الله.. وجاء فى الحديث أن الخلق عشرة أجزاء تسعة منها يأجوج ومأجوج «يراجع معجم «لسان العرب» لابن منظور، مادة أجج.

٣- وجاء في ((التفسير الكبير)) للإمام الرازي في معرض تفسيره لقول الله عز وجل في سورة الكهف: ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ما يلي:

« فى يأجوج ومأجوج قولان، الأول: أنهما اسمان أعجميان موضوعان بدليل منع

الصرف. والثانى: أنهما مشتقان، وقرأ عاصم يأجوج ومأجوج بالهمز. وقرأ الباقون: ياجوج وماجوج، وقرئ فى رواية أجوج ومأجوج، والقائلون بكون هذين الاسمين مشتقين ذكروا وجوها: الأول: قال الكسائى: يأجوج مأخوذ من تأجج النار وتلهبها فلسرعتهم فى الحركة سموا بذلك، ومأجوج من موج البحر. والثانى: أن يأجوج مأخوذ من تأجج الملح وهو شدة ملوحته، فلشدتهم فى الحركة سموا بذلك. والثالث: قال القيتبى: هو مأخوذ من قولهم أجّ الظليم فى مشيه يئج أجًّا، إذا هرول وسمعت حفيفه فى عدوه.. واختلف فى أنهما - أى يأجوج ومأجوج - من أى الأقوام، فقيل إنهما من الترك، وقيل يأجوج من الترك ومأجوج من الجبل والديليم.. وكذلك قال الرازى :«هما قبيلتان من جنس الإنس».

٤- وجاء في ((دائرة معارف القرن العشرين)) لمؤلفها محمد فريد وجدي:

«.. وأما يأجوج ومأجوج فقبيلتان من ولد يافث. وقيل يأجوج من الترك ومأجوج من جبل الديلم، ومن الناس من وصفهم بصغر الجثة وقصر القامة حتى قالوا إن الواحد منهم لا يزيد فى الطول عن الشبر، ومنهم من وصفهم بطول القامة وكبر الجثة وأثبت لهم مخالب وأضراسا كأضراس السباع، وليس فى الكتاب الكريم ما يدل على شىء من ذلك، فقد اقتصر على أنهم من الأقوام المفسدين فى الأرض ولو كانوا فيهم شىء خارق للعادة لنبه عليه.

أما إفسادهم فى الأرض فقيل كانوا يقتلون الناس ويأكلون لحومهم. وقيل كانوا يخرجون أيام الربيع فلا يتركون شيئا أخضر إلا أكلوه ولا يابسا إلا حملوه.

وقد نرى أن ذلك لا يمنع أنهم كانوا قوما أولى بأس شديد يشنون الغارة على أولئك الأقوام الشاكين، فيكون معنى أنهم مفسدون فى الأرض أنهم يغزون فيجتاحون ثمراتهم ويقتلونهم ويسبون نساءهم. وعليه فلا محل لجميع ما يروى

من الأمور البعيدة عن العقل بشأن يأجوج ومأجوج ما دام لم تدل على إشارة من كتاب الله ولا من سنة رسوله الصحيحة «دائرة معارف القرن العشرين - محمد فريد وجدى، المجلد الأول - مادة أجج».

وهكذا يبدو من القرآن واللغة وكلام المفسرين والمفكرين أنه ليس ثمة خرافة أو أعجوبة تتعلق بيأجوج ومأجوج، فهم ليسوا سوى أقوام بشرية تتميز بصفات معينة سنفصل بيانها فى الوضع المناسب. إن كلمتى «يأجوج» و«مأجوج» تبدوان كأنهما عبريتان، ولكنهما فى أصلهما قد لا تكونان عبريتين. إنهما كلمتان أجنبيتان اتخذتا الصورة العبرية، فهما تنطقان باليونانية (Gog) و(Magog) وقد ذكرتا بهذا الشكل فى الترجمة السبعينية للتوراة، وراجتا بالشكل نفسه فى سائر اللغات الأوروبية. ولقد ورد هذا الاسم لأول مرة فى التوراة فى سفر التكوين عند ذكره خروج أمم من ذرية نوح حيث جاء :(هؤلاء مواليد بنى نوح سام وحام ويافث ومن وُلدهم من البنين بعد الطوفان بنو يافث: جومر، وماجوج ومادای وياوان وتوبال وماشك وتيراس) التكوين / الإصحاح ١٠: ١-٢ وبينما يمثل جومر (الكمريين) الذين عاشوا شرقى تركيا، ومدای (الميديين) فقد كان مأجوج شعبا عاش شرقى الكمريين وغربى الميديين، ولكن يبدو من سفر التكوين أن قائمة الشعوب المذكورة فيه تعبر عن اصطلاح يشير إلى خليط من الشعوب البربرية المقيمة فى أقصى شمال وشمال شرقى المنطقة الجغرافية المشار إليها ويرد اسم مأجوج فى سفر حزقيال باعتباره اسما للأقوام الشمالية والتى قائدها وزعيمها يأجوج، وفى الوحى يعتبر لفظ يأجوج ومأجوج كاصطلاح شامل لقوى الشر، وقد اعتبرهم يوسيفوس بأنهم السيكيثيون، ويعنى هذا الاسم لدى الكتاب القدماء مجموعة من القبائل المجهولة والمتوحشة. وحسب (جرومى) فإن قبائل مأجوج كانت تقيم وراء القفقاس قرب بحر قزوين. وهذه المنطقة الشمالية

ذاتها حيث عاش السيكيثيون (باليونانية سى تهين sythians). ويشير (هيرودتس) إلى أن هؤلاء البدو (السيكيثيين) جاءوا من ممر طبيعى يقع بين القفقاس. (الموسوعة اليهودية - تحت عنوان ياجوج، وتاريخ العالم للمؤرخين - مجلد٢ ص: ٢٨٥).

وبناء على ما جاء فى التوراة فإن قبائل يأجوج ومأجوج قد حكمت جزء من بلاد فارس، وإنها لحقيقة تاريخية ثابتة أن فارس قد وقعت فى أيدى السيكيثيين أو امبراطور ميديا الذى حكم (أكبتانا) ثم استخلصها منه الملك قورش العظيم (تاريخ العالم للمؤرخين - مجلد ٢ ص٥٨٩).

وهكذا يبدو واضحا أن السيكثيين أو يأجوج ومأجوج قد سيطروا على مناطق إلى الشمال والشمال الشرقى من البحر الأسود، وأنهم قد قدموا من هذه المناطق وغزو واحتلوا فارس، وأن الملك قورش (ذا القرنين) بانى السد قد هزمهم فيما بعد وأنقذ فارس من براثنهم.

ولا شك فى أن ثمة الكثير مما يمكن أن يتبين من الحقائق التاريخية حول تاريخ قبائل يزجوج ومأجوج الى ستعرض له بشىء من التفصيل فيما بعد بقصد بيان هويتهم فى الزمن الماضى وحقيقتهم فى زمننا الحاضر، وهى أن هذه الأقوام عندما لم تتمكن من التغلغل من الشمال إلى الجنوب لاحتلال بلاد فارس التى كانت تطمع بخيراتها بسبب إقامة سد ذى القرنين فى وجهها، توجهت أكثرية هذه القبائل زاحفة باتجاه أوروبا فغزتها واستوطنتها ثم عندما ظهرت المسيحية فيها دخلت فى المسيحية، وهى تشكل اليوم الجزء الغالب فى الشعوب المسيحية الأوروبية والتى تشكل حاليا نسبة تجاوز ٧٠٪ من أصول الشعب الأمريكى - وبذلك تتوحد فى هذا العصر هوية المسيح الدجال مع يأجوج ومأجوج.

**تاريخ قبائل يأجوج ومأجوج ومن كان هؤلاء القوم؟**

لقد تضافرت الشواهد التاريخية على أنهم لم يكونوا إلا قبائل همجية بدوية من السهول الشمالية الشرقية تدفقت سيولها من قبل العصر التاريخى إلى القرن التاسع الميلادى نحو البلاد الغربية والجنوبية.

وقد سميت هى بأسماء مختلفة، وعرف جزء كبير منها فى الزمن المتأخر باسم «ميجر» فى أوروبا، وجزء آخر باسم التتار فى آسيا، ولا شك أيضا أن فرعا لهؤلاء القوم، كان قد انتشر على سواحل البحر الأسود فى سنة ٦٠٠ ق.م. وأغار على آسيا الغربية نازلا من جبال القوقاز. وقد سماه اليونان باسم (سى تهين syihians) وذكر بنفس الاسم فى كتابات دارايوش باستخر مما يجزم بأن هؤلاء هم الذين شكت من غاراتهم ووحشيتهم الشعوب الجبلية إلى قورش فبنى السد الحديدى لمنعها.

**القبائل المنغولية واليواشية:**

وتسمى هذه البقعة الشمالية الشرقية من الأرض «منغوليا» وقبائلها الرحالة «منغول» - وفى المصادر الصينية أن أصل كلمة منغول، هو «منكوك» (بالكاف الفارسية بعد النون) أو «منجوك» (بالجيم الفارسية) وفى الحالتين تقرب الكلمة من النطق العبرى «ماكوك» (بالكافين الفارسيتين) والنطق اليونانى «ميكاك» (بالكافين الفارسيتين). ويخبرنا تاريخ الصين عن قبيلة أخرى من هذه البقعة، كانت تعرف باسم «يواشى» والظاهر أن هذه الكلمة مازالت تحرف عند الأمم حتى أصبحت «يأجوج» فى العبرية (يراجع كتاب مولانا أزاد عن ذى القرنين).

وغير خاف أن من المعروف تاريخيا أن منغوليا تعتبر مهد الشعوب القديمة، فإن الجزء المرتفع من الكرة الأرضية الواقع فى الشمال الشرقى الذى يسمى فى

عصرنا الحالى منغوليا وتركستان الصينية، كان مهدا لشعوب قديمة عديدة، فلقد معينا بشريا، تتدفق مياهه وتتجمع، حتى إذا بلغت النهاية طغت وانصبت إلى الغرب، والجنوب فالصين موجودة فى الشرق منه، وآسيا الغربية والجنوبية فى غربه وجنوبه، وأوروبا فى الشمال الغربى منه، فمازالت سيول القبائل والشعوب تتدفق، فتستوطن بعض القبائل آسيا الوسطى والبعض الغالب يتقدم فيصل إلى أوروبا ومنها أيضا من ينزل بآسيا الغربية والجنوبية. وكانت هذه القبائل بعد خروجها من مسقط رأسها، وحط رحالها فى البلاد الجديدة، تفقد تدريجيا خصائصها الأولى وتصطبغ بصبغة أوطانها الجديدة، فتصير على مرور الأيام شعوبا بنفسها.

ولما كان موطنها القديم لا تتغير أحواله، ولم تزل تنشأ فيه قبائل جديدة، وتتدفق فى دورها إلى الخارج كمن سبق من أخواتها، دون أن تتغير هذه البقعة بل تظل على همجيتها القديمة. وكان الذين ينسلون منها ويقطنون البلاد الأخرى، كانوا يتحضرون تدريجيا مع مرور الزمن، فتختلف حالتهم الجديدة ولو ببطء عن الحالة القديمة، فبينما المدنية تسعى لإزالة بربريتهم فيشتغلون بالزراعة والحرف الأخرى، يظل أخوتهم فى مسقط رأسهم على حالتهم الأولى من الهمجية والخشونة والقسوة، ولذلك يظلون شبحا مخيفا ومرعبا للبلاد الأخرى المجاورة.

وقد مر خروج هذه القبائل الهمجية «يأجوج ومأجوج» إلى سبعة أدوار:

الدور الأول:

كان قبل العصر التاريخى، عندما بدأت هذه القبائل تهاجر من الشمال الشرقى، وتنتشر فى آسيا الوسطى.

وكان الدور الثاني:

فى فجر التاريخ، فنرى فى ضوئه معالم حياتين مختلفتين، حياة البداوة وحياة الاستقرار، فتخلد القبائل المهاجرة إلى السكينة، وتباشر الحياة الزراعية، رلا أن سيولا جديدة لا تزال تتدفق من الشرق. وزمن هذا الدور من نحو سنة ١٥٠٠ ق.م إلى سنة ١٠٠٠ ق.م.

الدور الثالث:

ويتبدئ الدور الثالث من سنة ألف قبل الميلاد، فنجد قوما همجا من البدو فى بلاد بحر الخزر والبحر الأسود، بأسماء مختلفة ومن جهات مختلفة، ثم نرى القبائل «سى تهين» أخذت تظهر على مسرح التاريخ سنة ٧٠٠ ق.م وتهاجم آسيا الغربية. وكانت الحضارة الآشورية قد بلغت أوج مجدها، وسادت مدينة نينوى وبابل على آسيا كلها.

وقد ذكر هيرودوتس (إن حدود الآشوريين الشمالية كانت عرضة لغارات قبائل سى تهين المستمرة، وكانت هذه الحدود تمتد إلى جبال أرمينيا، فكانت قبائل سى تهين تجتاز مضيق القوقاز وتشن الغارات المدمرة على شعوب السهول، حتى أن جموعا كبيرة منها تقدمت سنة ٦٢٠ ق.م ووصلت إلى نينوى، داسة فى طريقها إيران الشمالية، ويرى مؤرخو اليونان أن هذا الحادث كان من أهم سقوط نينوى.

(يراجع «ويسألونك عن ذى القرنين» لمولانا أبو الكلام أزاد، وهيرودوتس ١-١٠٤).

الدور الرابع:

أما الدور الرابع فإنه يبتدئ حوالى سنة ٥٠٠ ق.م - وهو الزمن الذى ظهر فيه قورش. وتكونت مملكة مادا وفارس المتحدة، فتغيرت الظروف وموازين القوى

فجأة، وأمنت آسيا الغربية تماما من هجمات «سى تهين» البربرية بعد بناء سد قورش فتوجهت الأغلبية منهم إلى أوروبا فغزتها.

**الدور الخامس:**

وكان الدور الخامس فى القرن الثالث قبل الميلاد، قد تدفق فيه سيل جديد للقبائل المنغولية وانصب على الصين. وقد سمى مؤرخو الصين هذه القبائل «هيونغ نو» Hiung nu وقد حرف الاسم فأصبح «هن» فيما بعد.

وفى هذا العصر بنى امبراطور الصين «شين هوانغ تى» ذلك الجدار العظيم الذى اشتهر بجدار الصين لصد هجمات هؤلاء المغيرين، والذى لا يزال يوجد إلى يومنا هذا. وقد بدءوا ببنائه سنة ٢٦٤ ق وأتموه فى مدة عشر سنين. ولما صد هذا الجدار حملات المغول من الشمال والغرب توجهوا إلى آسيا الوسطى.

**الدور السادس:**

وكان هذا الدور فى القرن الرابع الميلادى عندما رفعت هذه القبائل رأسها فى أوروبا بعد ازدياد وتكاثر أعدادها وبعد أن حظيت بقائد كبير، هو أتيلا «Attila» وقضت على الإمبراطورية الرومانية وعلى المدنية الرومانية معا.

**الدور السابع والأخير:**

وقد كان هذا الدور فى القرن الثانى عشر الميلادى، فاحتشدت جموع عظيمة من القبائل فى بلاد منغوليا، وخرجت بزعامة جنكيز خان، فقضت على الحضارة العربية وخربت بغداد.

وقد نعلم مما سبق أن معظم آسيا الغربية كانت عرضة لهجمات قبائل سى تهين

المنغولية من القرن السادس قبل الميلاد، وأن الزمن الذى وقفت فيه هذه الجمات بغتة هو زمن قورش، فلابد من أن تكون هذه القبائل (سى تهين) التى سميت واشتهرت باسم يأجوج ومأجوج، ولصد غاراتها بنى ذو القرنين (قورش) السد الحديدى، فقفل هذا السد تماما الطريق الذى كان يسلكه هولاء الهمج لشن غاراتهم على آسيا الغربية، ولم نسمع لهجماتهم خبرا فيما بعد.

# الفصل الثانى

# سد ذى القرنين

obeikan.com

علمنا مما سبق أن الملك قورش العظيم (ذو القرنين) أوقف تماما الهجمات الوحشية المباغتة التى كانت تشنها قبائل «سى تهين» (يأجوج ومأجوج) على آسيا الغربية ببناء السد الحديدى فقفل بهذا السد الطريق الوحيد المتاح الذى كان يسلكه هؤلاء الهمج لشن غاراتهم.

فمن أى طريق كانت هذه القبائل تشن غاراتها؟ وأين كان بالتحديد موقع هذا السد فى هذا الطريق؟ وقد يجدر بنا فى هذا المقام أيضا أن نرى ما جاء فى نبوءة حزقيال حول يأجوج ومأجوج ثم نستطرد الحديث. فلقد ظهر النبى حزقيال فى الزمن الذى كان اليهود فيه يحيون حياة الأسر فى بابل. ويقول التاريخ اليهودى بأن بخت نصر (نبوخذ نصر) هو الذى جاء بحزقيال (حزقئيل) إلى بابل مع قومه فعاش إلى زمن قورش. وقد وجدت فى السفر المنسوب إليه نبوءات خوطبت بها الشعوب المختلفة، منها نبوءة فى شأن يأجوج ومأجوج كما يلى:

«وصلنى كلام الرب قائلا، يا ابن آدم، ول وجهك شطر جوج وتنبأ ضده، نعم، شطر جوج الذى هو رئيس أرض مأجوج، ومسك، وتوبال، فقل له إن الرب يقول لك، إنى أصبحت ضدك وإنى أبدلك، وأجرح فيك، وأطرد جميع جندك وفرسانك الذى يرتدون الملابس العسكرية، ويحملون السيوف والتروس. وأطرد معهم الفارس، وكوش والقوط كذلك».

ويلى هذا من التفصيل ما يتلخص فى أن جوج يقدم من الشمال ناهبا ومدمرا، ولكن يحل بالقوم الدمار، فيهلكون فى «وادى المسافرين» الواقع فى شرق البحر، وتبقى جثثهم تتعفن إلى زمن طويل، ثم يدفنها الناس ليخلو لهم الطريق (٣٨: ٣٩).

وقد وصف جوج فى هذه النبوءة بأنه رئيس «مسك» و«توبال» فكأن النبوءة قد صورت موقع «سى تهين» الجغرافى بهذا الوصف فمسك هى ما نسميه الآن

بموسكو. أما توبال فهى بلاد البحر الأسود المرتفعة.

ثم جاء فى النبوءة «إنى أطرد» وهذا ما وقع على أيدى الملك قورش، فإنه أقفل الطريق بسده على قبائل «سى تهين» (يأجوج ومأجوج)، فارتدت إلى ورائها. ثم قال إن جيش مأجوج كله يخرج، وكذلك يبرز جيش فارس، ويشترك معه القوط (غاله) أيضا، ويكون هلاك مأجوج فى «وادى المسافرين» وهذا هو عين ما وقع عندما هاجم دارايوش (ابن عم قورش الذى تولى الملك بعد وفاة كوشيا ابن قورش) بلاد أوروبا فقد خرجت لقتاله جميع قبائل «سى تهين» ولكنه تقدم إلى الدانوب بعد أن قتلهم شر تقتيل، وبقيت جثث المقتولين منهم تتعفن على ساحل البحر الأسود لمدة من الزمن.

ذكر كل هذا فى صحيفة حزقيال كنبوءة، إلا أن الباحثين العصريين، يرون أنه ألحق بها بعدما شهد العالم هجوم دارايوش وما تبعه من الأحداث. وقد ذهبت طائفة من شراح التوراة فى العصر الحالى إلى أن المقصود من مأجوج قبائل سى تهين (يراجع كتاب «ويسألونك عن ذى القرنين لمولانا أبو الكلام أزاد».

ولنركز الآن عن المكان الذى أقام قورش فيه سده. ونبدأ القول بأنه من المعروف أنه توجد فى البقعة الواقعة بين بحر الخزر والبحر الأسود سلسلة جبال القوقاز كأنها جدار طبيعى.

ولقد سد هذا الجدار الجبلى الطرق التى تصل الشمال بالجنوب، إلا طريقا واحدا بقى مفتوحا، وهو مضيق فى وسط سلسلة الجبال، يوصل بين الشمال والجنوب، ويسمى هذا المضيق فى أيامنا هذه بمضيق داريال، ويشار إلى موضعه فى الأطالس الحديثة بين ولادى كيوكز Vladi Koukas وطفليس، حيث يوجد إلى الآن جدار حديدى من الزمن القديم. ولا ريب أن هذا هو الجدار الذى بناه قورش إذ تنطبق عليه الأوصاف التى وصف بها القرآن سد ذى القرنين بذكر أنه

استخدمت فى بنائه زبر الحديد وأفرغ عليه النحاس بعد أن أذابه لتتصل مفاصله، فلا يبقى به خلل، وأنه بنى بين جدارين جبليين. وهذا ما يُرى فى مضيق داريال. جدارين جبليين شاهقين أقيم بينهما هذا السد الحديدى الذى أقفل باتصاله بالجدارين الطريق الذى كان مفتوحا بينهما.

ولا ريب أن للكتابات الأرمنية أهمية بالغة فى المسألة، لأنها بحكم قرب المكان أصبحت بمنزلة الشهادة المحلية، فقد سمى هذا السد أو الجدار الحديدى فى اللغة الأرمنية من الدهور السالفة بـ«بهاك غورائى» و«كابان غورائى» ولا يخفى أن «غور» جزء لاسم غوروش (قورش بالعربية وخوريس بالعبرية، وسائرس باليونانية) مما يؤكد أن قورش هو الذى بنى الجدار وإليه نسبوه من قديم الزمان. (ويراجع فى هذا كتاب «ويسألونك عن ذى القرنين لمولانا أبوالمكارم أزاد».

وهناك شهادة أخرى لا تقل فى أهميتها عن الأولى، وهى شهادة لغة بلاد جورجيا التى هى القوقاز بعينها، فقد سمى هذا المضيق باللغة الجورجية من قديم الزمان «الباب الحديدى» وترجمه الأتراك فى لغتهم «دامركيو» وهو معروف ومشهور إلى الآن عندهم.

(يراجع فى هذا كتاب كاظم بك باسم «دربند نامه» المترجم إلى الإنجليزية تحت اسم «تاريخ دربند» ص٢١). أما المؤرخون القدماء، فأول من ذكره منهم، هو الرحالة اليهودى الشهير يوسف الذى كان معاصرا للقرن الأول الميلادى.

ثم ذكره بعد أن عاينه بنفسه ووصفه تفصيلا المؤرخ الشهير بروكوبيس Procopius فى القرن السادس الميلادى، وذلك لأن القائد الرومانى بلى سباريس Bolisarius صحبه معه لما أغار على هذه الجهة فى سنة ٥٢٨م بروكوبيس على الأرض وما عليها.

ولقد سبق أن أشرنا إلى «تهرسائرس» الذى يؤكد دون ريب وصول قورش إلى هذه البقعة فهنالك فى القوقاز أنهار ينبع كلها من هذه الجبال. وقد سمى واحد منها بنهر سائرس أى نهر قورش (قورش بالعربية هو خوريس بالعبرية وسائرس باليونانية). وقد وثقت المصادر الأرمنية والجورجية هذا الاسم.

وذكره كذلك بعض السياح الأوروبيين من القرن السادس عشر، فهذا أنتونى جن كنسن Anthonie Jenkinson الذى أرسلته شركة تجارية فى لندن إلى إيران من طريق روسيا سنة ١٥٥٧. يذكر هذا النهر فى رحلته قائلا بأنه يسمى بنهر سائرس، هذا وقد يجدر الذكر هنا أيضا بأن جميع الخرائط التى وضعت لهذه الجهات فى القرن الثامن عشر ذكرت «نهر سائرس» هذا بصراحة تامة.

## الفصل الثالث

# حل مشكلة الخلط بين جدار ((مضيق داريال)) الحديدى وجدار دربند الحجرى

يوجد هنالك فى ذات البقعة عدا جدار «مضيق دارايل» الحديدى - الذى تحدثنا عنه - جدار آخر من الحجر وبوجوده تعقدت المسألة بعض التعقد. مما يلزم معالجتها.

فرذا نظرت فى الخريطة تجد على ساحل بحر الخزر الغربى بلدة، اشتهرت من العصر الساسانى باسم «دربند» وسمتها العرب «باب الأبواب» وتقع فى نفس المكان الذى انتهت إليه سلسلة جبال القوقاز. واتصلت بساحل بحر الخزر. وقد وجد هنالك جدار حجرى من الزمن القديم، يبتدئ من ساحل البحر ويرتفع على منحدرات الجبل صاعدا رلى مرتفعاته، حتى يبلغ طوله نحو ثلاثين ميلا. وتفصيل ذلك أنك تجد قبل وصولك بلدة دربند جدارا يسد الطريق كله من الساحل إلى مرتفعات الجبل، فلا يمكنك الدخول فى البلدة إلا من باب فى الجدار نفسه، وكذلك إذا خرجت من البلدة، وجدت جدارا آخر مثل الأول يسد الطريق، إلا أن به كذلك بابا يمكنك من التقدم، ويمتد الجداران جنبا لجنب إلى مرتفعات الجبل، وينقص الفصل بينهما كلما تقدما، حتى يصبح عند الساحل بحوالى خمسمائة ياردة.

وفى هذا الفصل بينهما تقع البلدة، ثم ينقص الفصل بعد ميلين كذلك، فلا يجاوز مائة ياردة. وهنا تنتهى سلسلة الجدارين فيصيران جدارا واحدا. ويمتد هذا الجدار إلى ثمانية وعشرين ميلا، وينتهى على المرتفعات العالية من الجبل. وكانت قد اشتهرت سلسلة الجدارين عند الفرس باسم «دوبارة» والمكان الذى انتهت إليه هذه السلسلة أقيمت فيه قلعة.

وقد سدت هذه السلسلة جميع الطرق الموصلة بين الشمال والجنوب سدا محكما، لأنها توغلت إلى داخل البحر، فسدت طريق الساحل كلية، ثم امتدت فوق الجبل إلى ثلاثين ميلا، فسدت سائر الطرق التى وجدت فى منحدرات الجبل سدا تاما، وليس

لأحد أن يخترق من الشمال إلى الجنوب إلا بطريق واحد وهو الطريق الذى يفتحه البابان فى سلسلة الجدار نفسه.

ومن الثابت أن هذا الجدار العظيم وجد قبل الإسلام، وسمى المكان فى العصر الساسانى «دربن» لوجود الجدار به، أى باب المملكة المقفل.

وقد ذكر الاصطخرى، والمسعودى، والمقدسى، وياقوت الحموى، والقزوينى وغيرهم من المؤرخين والجغرافيين العرب هذا المكان باسم «دربند» قائلين إنه كان يعد أهم مكان فى العصر الساسانى. لأن المغيرين ما كانوا يستطيعون مهاجمة إيران الشمالية إلا من هذا الطريق فكان المكان مفتوحا للمملكة الإيرانية، يملكها من يملكه.

ذكر جغرافيو العرب هذا المكان باسم «دربند» إلا أنه كان اشتهر باسم «باب الأبواب» كذلك، وألف بعض الكتاب هذا الاسم، وقد ذكره ياقوت فى معجم البلدان بهذا الاسم.

ولما فتح العرب هذه الجهات فى القرن الأول من الهجرة، أدركوا أهمية هذا المكان، كالساسانيين فدعوه بـ«باب الأبواب»، وسماه البعض «باب الخزر» أو «باب الترك» لأنه كان الطريق لغارات هذه الشعوب والاسم ترجمة حرفية لاسمه الرومى كاسبين بوتا أى باب الخزر.

**فمن الذى بنى ((جدار دربند)) هذا؟**

لما كان الكثير من مفسرينا يجهلون سد مضيق داريال، وكان هذا الجدار (جدار دربند) أمام أعينهم، جزم بعضهم بدون ترو بأنه هو سد ذى القرنين، كما فعل البيضاوى والرازى وغيرهما كذلك، وكان حريا بهم أن يروا إذا ما كان ينطبق على هذا الجدار وصف من أوصاف سد ذى القرنين. ولما كان الأمر ليس كذلك، فلا يجوز

أن يقال إنه السد المذكور فى القرآن الكريم.

فقد جاء فى القرآن الكريم أن ذا القرنين وصل إلى مكان، قام على جانبيه جداران جبليان. فهل يوجد فى دربند جداران جبليان؟ والجواب هو لا.

فلقد جاء فى القرآن أن ذا القرنين بنى سده بين جدارين جبليين، ليسد به الطريق بينهما، ونجد هنا فى دربند جدارا ممتدا إلى ثلاثين ميلا، ثم إن هذا الجدار لا يسد ممرا جبليا، بل يصعد من ساحل بحر الخزر إلى مرتفعات الجبل.

ولكن لما وجد جدار مضيق داريال أو سده وجدار دربند فى بقعة واحدة من الأرض، لا يفصل بينهما إلا مسافة قليلة، اختلط الأمر على الناس. ومما يثير الدهشة والعجب أن بعض المؤرخين العصريين وقعوا فريسة لهذا الخلط. ومن أشكال هذا الخلط:

**نسبة الجدار إلى الإسكندر والإشكال التاريخى:**

ذهب مؤرخو العرب بناء على الروايات الساسانية إلى أن الذى بنى جدار دربند هو أنو شروان فقد ذكر المسعودى والحموى تفاصيل البناء، ونقل عنهما المؤرخون الذين جاءوا بعدهما، ولكن يوجد هنا إشكال وهو أن المؤرخ اليهودى الشهير يوسف الذى كان موجودا فى القرن الأول الميلادى وبروكوبيس procopius الذى وجد فى القرن السادس الميلادى، قد ذكر جدارا فى هذه الجهة كما أشرنا إليه آنفا، غير أنهما يقولان كذلك أن الذى بناه هو الإسكندر المقدونى، فى حين أن أحداث الفتح الإسكندرى المقدونى معروفة وليست بخافية على التاريخ، فلم يرو قط أن الإسكندر قدم رلى هذه الجهة أو بنى جدارا بها.

وعلاوة على ذلك أنه من المعلوم والثابت أن مثل هذه الحصون والمعاقل لا تشيد إلا إذا دعت إليها الضرورة الملحة خاصة الدواعى الدفاعية، ومن المعلوم كذلك أن

الإسكندر لم تصادفه داعية كهذه فى سائر حروبه. صحيح أن هذه البقعة كانت تابعة للإمبراطورية الإيرانية ولكن من المعلوم والثابت أن الإسكندر عندما هاجمها هاجمها من طريق الشام، وتوجه من إيران إلى بنجاب (الهند) ولما قفل راجعا من بنجاب، دهمه الموت فى بابل. فما هى الأسباب أو الظروف التى اضطرته - والحالة هذه - إلى تشييد مثل هذه المعاقل فى بلاد القوقاز؟ وإن كان شيدها فمتى كان ذلك؟ ولماذا أغفل جميع مؤرخيه ذكر حادث هام كهذا الحادث؟

ثم هنالك أشكال آخر هو إن كان جدار دربند بناه أنو شروان فكيف يكون ذلك؟

يقول العلامة الشهير أبو الكلام أزاد: لقد أجمع المؤرخون على أن عصر أنو شروان كان من سنة ٥٣١ م إلى سنة ٥٧٩م، وعلى ذلك لا يمكن أن يكون بنى شيئا قبل هذا الزمن، ولكن يوسف يذكر الجدار فى القرن الأول الميلادى وبروكوبيس يشهد بوجوده فى سنة ٥٢٨م. فعُلم من هذا أن أنو شروان لم يبن هذا الجدار. وقد زار هذه الجهة المؤرخ الأمريكى العصرى جيكسن فى سنة ١٩٠٤م فضعف رواية يوسف فى رحلته واقترح من عنده قائلا: لم يشيد الإسكندر هذه المعاقل، ولكن بناها بعض قواده، ثم أنهم ربما زادوا فيها فى العصر الساسانى!

وهذا كلام مردود، يرفض على نفس الأساس الذى رفض عليه قول القائلين بأن الإسكندر بناها وذلك لأنه إن كان شيدها بعض قواد الإسكندر، فمن كان هو؟ ولماذا شيدها؟ ولماذا أهمل مؤرخو ذلك العصر ذكر هذا الأمر الهام؟ لقد وجدت رواية - مهما كانت واهية - فى شأن الإسكندر، ولم يوجد شىء مثل ذلك فى شأن قواده أبدا.

ونشأ هذا التعقد كله لأن الناس لم يميزوا بين جدار مضيق داريال وجدار دربند، فاختلط الأمر عليهم. لقد كان مفتاح المعضلة فى القول بأن الذى بنى الجدار الأول

الحديدى - جدار مضيق داريال - هو خورس (قورش)، ولكن الناس لم يفعلوا ذلك، فأخذوا ينظرون تارة إلى الإسكندر وقواده وتارة أخرى إلى أنو شروان. وكان جدير بهم أن ينظروا إلى خورس (قورش) الذى هو يقينا صاحب جدار «مضيق داريال» الحديدى لا غيره.

وحل هذه المشكلة يكمن فى أنه يوجد فى البقعة جداران، وليس من الضرورى أنهما بنيا فى زمن واحد، فأول ما ينبغى لنا أن نفعله، هو أن نقر رأى جدار ذكره المؤرخان يوسف وبروكوبيس أهو جدار دربند؟ فإن كان هو جدار دربند، فلا يمكن أن يكون بناه أنو شروان.

فإذا نظرنا إلى الشواهد التاريخية من هذه الوجهة، يتجلى لنا أن يوسف وبروكوبيس لا يقصدان بما ذكراه، جدار دربند، بل إنما يريدان به جدار مضيق داريال الذى بناه خورس (قورش) فى القرن الرابع قبل الميلاد، أى قبل المؤرخ اليهودى يوسف بنحو خمسمائة سنة، وقبل بروكوبيس بألف سنة، الزمن الذى لم يكن لجدار دربند فيه أثر ولا خبر، أما الجدار الذى ذكره المؤرخون بعد عصر يوسف وأيضا عصر بروكوبيس، وهو الذى سمى بجدار بحر الخزر فهو بلا ريب جدار دربند، لأن جدار مضيق داريال، لا يمكن أن يطلق عليه اسم جدار الخزر بحال.

لقد ارتفع الإشكال الآن بدفع هذه الشبهة الطفيفة التى تتعلق بكون أنو شروان هو الذى بنى جدار دربند، ولم تبق حاجة لتضعيف ما قاله مؤرخو العرب الذين كتبوا ما كتبوا مستندين إلى روايات العصر الساسانى. وقد أطنبوا فى ذكر تفاصيل البناء فذكروا مثلا كيف وضع أساس الجدار فى داخل البحر، وما هى الوسائل التى لجأ إليها البناءون، لذلك ليس لنا أن نرتاب فى صحة ما ذكروه والأقرب إلى الصواب أن أنو شروان هو الذى بنى جدار دربند، وأن هذا الجدار ما كان يمكن أن يوجد فى

عصر بروكوبيس الذى زار المكان قبل أنو شروان بثلاث سنوات.

ولك أن تقول، إن كان الأمر كما ذكر، فلماذا نسب يوسف وبروكوبيس جدار مضيق داريال إلى الإسكندر رغم أن هذا السد من الثابت أنه بنى فى القرن الرابع قبل الميلاد وقبل ظهور الإسكندر بكثير؟ والجواب هو أنهما إما خدعا بالشهرة العامة أو وقعا فريسة للشهرة التاريخية - «كتاب ذى القرنين للعلامة الشهير مولانا أبو الكلام أزاد».

ويجدر الذكر هنا أن أغلب الباحثين والمؤرخين والمستشرقين قد أيد رأى العلامة مولانا أبو الكلام أزاد هذا الذى أزال شبهات كثيرة حول الخلط بين جدار (سد) مضيق داريال الحديدى الذى بناه الملك قورش (ذو القرنين) وجدار دربند الحجرى. والذى استفدنا منه - دون ريب - كثيرا.

وأن الخطأ التاريخى الكبير الذى وقع فيه المؤرخ اليهودى يوسف (يوسيفوس) وأيضا المؤرخ بروكوبيس بنسبة بناء جدار مضيق داريال الحديدى إلى الإسكندر كان بسبب إما انخداعهما بالشهرة العامة الطاغية للإسكندر وما راج حوله من أساطير أو وقوعهما فريسة للشبهة التاريخية.. ولا جدال فى أن هناك أساطير كثيرة راجت فى عامة الناس حول الإسكندر الأكبر بعد فتوحه فاعتادوا أن ينسبوا إليه الأعمال العجيبة والأمور الخارقة للعادة - وقد تسربت هذه الأساطير للأسف إلى الكتب التى ألفت فى سيرة الإسكندر وغزواته، ولما ترجمت هذه الكتب إلى العربية راجت هذه الأساطير بين المسلمين كذلك، فالنظامى لما ألف منظومته «سكندر نامه» استخدم هذه المادة، وجعل من التاريخ قصة ممتعة، فيغلب على الظن أن أسطورة كانت اشتهرت فى شأن مضيق داريال الحديدى كذلك، فنقلها المؤرخ يوسف وحذا حذوه بروكوبيس، ولذلك نجد المؤرخين غيرهما يذكرون معاقل هذه الجهة ولكن لا ينسبونها إلى الإسكندر، فهذا تسيتس Tacitys وليدس Lydus يقولان بأن

الرومان يسمون المكان بباب الخزر، دون أن يزعما أن الجدار أو المعاقل شيدت فى عصر الإسكندر.

ثم أن بعض المؤرخين وقعوا فى خطأ عظيم بشأن جبال القوقاز ذكره استرابو فى جغرافيته، ونعني بذلك أنهم توهموا أن الجبال الواقعة في شرق بحر الخزر بأنها جبال القوقاز، فنسبوا إلي تلك جميع خصائص هذه الجغرافية.

ولا ريب أن الإسكندر مر بتلك الجبال فى طريقه إلى الهند وأقام بها مرة. ولا يستبعد أن يوسف - بناء على هذا الوهم - ظن أن الإسكندر قدم إلى بلاد القوقاز أيضا، فبنى هذا الجدار بأمره وقد أصاب المؤرخ الأمريكى جيكسن فى قوله:

«ربما كان هذا الوهم هو أساس الرواية القائلة بأن الإسكندر شيد الجدار».

وعلاوة على ما قدمناه من تفصيلات موثقة قد أزالت الإشكالين معا، فإننا نرى من استقراء التاريخ أمرا واضحا جليا وهو أن الإسكندر ما كان يهمه على الإطلاق أمر حدود إيران الشمالية والدفاع عنها فى عصره، أما أنو شروان فكان تشييد جدار دربند يمثل أهمية قصوى فى عصره مما اضطره لبنائه.

لقد كان أكبر خطر على آسيا الغربية فى عصر الملك قورش يأتى من جهة قبائل سى تهين (يأجوج ومأجوج) البربرية وكان طريق غاراتهم من مضيق داريال فقام قورش (ذو القرنين) ببناء سد مضيق داريال الحديدى (والموجود حتى الآن شاهدا على ذلك) صدا للمعتدين وتأمينا للخائفين فى عصره وإلى الأبد (كما أسلفنا آنفا).

ولكن الوضع الجغرافى فى تغير بعد ألف عام، فلم يبق خطر من قبل «سى تهين» كما قدمنا ولكن حلت محله أخطار أخرى، كان أكبرها من جهة الإمبراطورية الرومانية الشرقية فى بيزنطية التى كانت خصما للإمبراطورية الفارسية، وتحاول القضاء عليها.

فلم تكتف بطرق اسيا الصغرى المطروقة فى حروبها بل كانت تطرق هذا الطريق كذلك. ثم كانت القبائل التركية فى سهول بحيرة يورال وبحر الخزر التى انتشرت جماهيريا فى الشمال، وكانت هى تهاجم الجهات الشمالية من الإمبراطورية الفارسية، فكان لزاما أن يتم تحصين هذا المكان باهتمام كبير، وعلى ذلك شيد أنو شروان جدار دربند، فسد به هذا الطريق فى وجه المهاجمين.

obeikan.com